تبعت سنة نبيك تطيب ثوبك بطيب ولـلـدّنـا تـجـمـع كـذا شـروط الـدِّيـن

وعُمِلَ العزاء ببغداد والمَوْصل ودمشق، ورثاه ابنُ المنجم المِصْري، فقال: [من المديد]

يـــا أخِـــلاَّئـــي وحـــقِّـــكُـــمُ مـــا بـــقـــي مِـــنْ بـــعـــدكُـــمْ فَـــرَحُ

أيُّ صَـــدْرٍ فـــي الـــزَّمـــان لـــنـــا بـــعـــد صَـــدْرِ الـــدِّيـــن يَـــنْـــشَـــرِحُ

وولي مشيخة الرباط بعده صفي الدِّين إسماعيل.

محمد بن قرا أرسلان[1]

نور الدين صاحب حِصْن كيفا الذي أعطاه صلاح الدين آمِد، ترك ابنه قطب الدين سُكْمان[2] صغير، عمره عشر سنين.

أبو طاهر بن عوف[3]

مدرِّس المالكية بالإسكندرية، كان يروي «الموطأ»، وكان شيخاً فاضلاً، صالحاً، وعمَّر طويلاً.

السنة الحادية والثمانون وخمس مئة

فيها قطع السُّلْطان الفرات، ونَزَل على حَرَّان سادس عشرين صفر، وكان مُظَفَّر الدِّين بن زين الدين يكاتبه، ويحثُّه على قَصْد الجزيرة، ويقول: عندي كل ما تحتاج إليه من المال والغرامات، وأحمل إليك خمسين ألف دينار. فلما قَطَعَ الفرات لم يَرَ شيئاً من ذلك، وقيل له: قد مال إلى المواصلة، فأرسل إليه يطلبُ المال، فأنكر، وأشير على السُّلْطان بحمله إلى قلعة حلب، فراسل السُّلْطان وقال: أنا أنزل عما بيدي من البلاد، وأخدمك بقية عمري بغير شيء. فاستقرَّ أن ينزل عن قلعة حَرَّان والرُّها، ويبقى بيده البلدان، فنزل، ثم أعادهما السُّلْطان إليه في آخر السنة.

---

(١) له ترجمة في «الوافي بالوفيات»: ٤/ ٣٥٣.

(٢) في (ح): ظهير الدين بن سكمان، وهو تحريف، والمثبت مما يأتي ص ٣٠٤ من هذا الجزء.

(٣) هو إسماعيل بن مكي بن عيسى بن عوف، وله ترجمة في «سير أعلام النبلاء»: ٢١/ ١٢٢ـ١٢٣، و«الديباج المذهب»: ١/ ٢٩٢ـ٢٩٥، وفيه وفاته سنة (٥٨١هـ).

وسار السُّلْطان، فنزل على المَوْصل وضايقها، وخرج إليه أهلها العوام والخواص، فقاتلوه، وظهروا عليه، وجاءه الملوك: زين الدين بن زين الدِّين من إرْبل، وسنجرشاه صاحب الجزيرة، وعسكر دياربكر، وكان القتال يعمل كل يوم، ويخرج إليه المواصلة غُراةً[١] يقاتلون، فبينا هو على ذلك جاءه الخبر بوفاة شاه أرمن صاحب خِلاط، وجاءته كتب مقدَّميها يطلبونه، فشاور الأُمراء، فأشاروا عليه بقَصْدها لما رأوا أَنَّهم لا طمَعَ لهم في المَوْصل، وقالوا: ما تفوت الموصل. فسار إلى خِلاط، وفي مقدِّمته ناصر الدين محمد بن [أسد الدين][٢] شيركوه، وتقيّ الدين عمر، فوصلوا مَيَّافارِقين، وبها الأسد يرنقش مملوك صاحب مارِدِين[٣]، فامتنع عليهم، وقال: أنا وصيٌّ يتامى أُستاذي قُطْب الدِّين، وبعد هذا فالأمر للخاتون والدتهم. فأرسل إليها صلاحُ الدين خادماً، ووعدها أن يتزوَّجها، ويزوج إحدى بناتها بابنه، فأجابته، وسَلَّمت إليه مَيَّافارقين، وأعطاها الهتَّاخ[٤]، وأعطى يرنقش جبل جور.

وكان الحاكم على خِلاط الوزير مجد الدين بن الموفَّق، وهو الذي كاتَبَ السُّلْطان، فبعث إليه الفقيه عيسى ليكشف الحال، فغالطه، وقال: في القلعة سيف الدين بَكْتَمُر وبها ابنة البهلوان زوجة شاه أرمن، وربما جاء البهلوان، فعاد الفقيه عيسى إلى السُّلْطان بغير شيء، وجاء البهلوان بعساكر أذربيجان وهَمَذَان والشَّرْق، ونزل قريباً من خِلاط، وراسل السُّلْطان يقول: هذه البلاد لابنتي، وهي في القلعة، والمصلحة أن تبقى المودَّة بيننا ودوام الصداقة. فرجع السُّلْطان إلى الجزيرة، ورجع البهلوان إلى بلاده بعد أن حمل إليه سيف الدين بَكْتَمُر أموالاً [وهدايا][٢].

وقال العماد: كان قُطْب الدِّين صاحِب مارِدِين قد مات، وبقيت الولاية لابنه الكبير وله عَشْرُ سنين، وكان القائم بتدبيره أسد الدين يرنقش، ومات أيضاً نور الدين صاحب آمِد، وتولى ابنه قطب الدين سُكْمان، فسار السُّلْطان إلى مَيَّافارقين، فعصى عليه

(١) كأنه يريد أنهم يقاتلون بلا دروع، وكان الحر إذ ذاك شديداً، انظر «كتاب «الروضتين»: ٣/ ٢٣٠.

(٢) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٣) في (ح) و(م) و(ش): «آمد»، وهو تحريف، والمثبت مما يأتي.

(٤) قلعة حصينة في دياربكر قرب ميافارقين. «معجم البلدان»: ٥/ ٣٩٢.

يرنقش، وكان في المدينة الخاتون ابنة قرا رسلان زوجة قُطْب الدِّين سُكْمان صاحب مارِدِين، فأحال يرنقش الأمر عليها، فراسلها السُّلْطان، فأجابته، وطلبت منه الهتَّاخ ليكون عُشّاً للفراخ، فأعطاها إياه، وأقبل قطب الدين سُكْمان صاحب آمِد إلى خِدْمته، فأكرمه، ورَدَّه إلى موضعه، وكان معه وزيره أبو [محمد][1] عبد الله بن سماقة.

وولَّى السُّلْطان على مَيَّافارِقين وديار بكر مملوكه سُنْقُر الخِلاطي، وعاد إلى المَوْصل، وهذه المرة الثالثة وهي الأخيرة، فنزل الإسماعيلات، وقيل: نزل على كَفْر زَمَّار بدِجْلة، وعَزَمَ على أن يشتِّي بذلك المكان، واستعدَّ المواصلة للحصار، وأشار أُمراء عز الدين مسعود عليه بأن يُخرج إليه النِّساء الأتابكيات يشفعن إليه، فخرجن ومعهن والدة عز الدين [مسعود][2]، فأكرمهن ووعدهنَّ الإحسان، ولم يقبل شفاعتهن، وقال: قد جعلتُ عماد الدين زَنْكي واسطةً فيما يعود نفعه عليَّ وعليكم. ونَدِمَ على رَدِّهن، وبعث إلى عماد الدين صاحب سنجار في معنى الصُّلْح، فقرَّره عماد الدين، وخُطِبَ للسُّلْطان بالمَوْصل، وأُعطي شَهْرُزُور والبوازيج، ووقف بها قرية [تعرف][2] ببافيلا على ورثة شيخ الشيوخ ببغداد، ورحل عن الموصل يريد الجزيرة.

[قال العماد][2]: وكان [السلطان][2] قد لازم قراءة القرآن في شهر رمضان، واشتدَّ الحر، وأضيف إلى ذلك ندمه على رَدِّ النساء، فمرض مرضاً شديداً، فتناثر شعر رأسه ولحيته، وقيل: إنه سُقي، وضَعُفَ ضعفاً خِيْفَ عليه منه، وأُرجف بموته، وأقام على نَصِيْبين وقد يئسوا منه، ثم تماثَلَ، فَحُمِلَ في مِحَفَّة إلى حَرَّان، فنزل ظاهرها، وبنى داراً سمَّاها دار العافية.

وقال ابنُ شَدَّاد: سببُ صُلْح المواصلة للسُّلْطان أَنَّهم استنجدوا بالدِّيوان والبهلوان، وأخرجوا النِّساء إليه، فلم ينفعهم، فلما مَرِضَ رأوا مرضه فُرصة، وعلموا رِقَّة قلبه، فأرسلوني إليه في هذا الأمر، فلما وصلنا إلى المخيَّم وجدناه في حد الإياس، فأقمنا حتى تماثَلَ، وأحضَرَنا يوم عرفة، وحَلَفَ لنا، ودام على يمينه طول عمره[3].

---

(١) ما بين حاصرتين زيادة من «كتاب «الروضتين»: ٣/ ٢٤٦ ، وانظر ترجمته ص٣٠٧ من هذا الجزء.

(٢) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٣) «النوادر السلطانية»: ٧٠ .

قال المصنِّف رحمه الله: كان الصُّلْح قد تقرَّر، وإنما لم يكن السُّلْطان حَلَفَ حتى جاءه ابنُ شداد والرَّبيب فاستحلفاه، وكان قد شاع أَنَّ المواصلة دَسُّوا عليه من سقاه السُّمَّ، فخافوا، وكان السُّلْطان لما يئس من نفسه أوصى إلى أخيه العادل، وجعل مِصْر للعزيز عثمان، ودمشق للأفضل، وحماة لتقي الدِّين، وقسم البلاد، ولما بَرِئَ وحَلَفَ للمواصلة أرسل إليهم بالهدايا والتُّحف، وجهَّز عِزُّ الدين العساكر في خِدْمة السُّلْطان إلى الجهاد، وَرَدَّ السُّلْطان على مظفر الدين حصن الرُّها وقلعة حرَّان، وسببه أنه لما طلب منه القلعتين بعث مظفر الدِّين نائبه إلى الولاة بالتسليم، فامتنعوا، فقال: قل لهم: بعلامة ما قلت لكم: إنْ أصابني شيءٌ فلا تسلِّموا إلا إلى السُّلْطان ولو بقيت له بنت واحدة. فعلم صلاحُ الدِّين حُسْنَ نيته ومقصده، فردَّهما عليه، وأكرمه.

وجاء تقليدُ الخليفة للسُّلْطان بتفويض بلاد الشَّرْق وديار بكر إليه، وعليه علامةُ الخليفة بيده، وصورتها: النَّاصر الله. ودخل في هذا التوقيع الموصل وغيرها.

وكان المنجِّمون بدمشق قد حكموا بأنه تهبُّ رمل مع هواء مزعج يُهلك النَّاس، فحفروا سرداباً وجثوا فيه، وظهر كذبُ المنجمين[1].

وحج بالنَّاس من العراق طاشْتِكِين.

وفيها توفي

شاكر بن عبد الله بن محمد[2]

أبو اليُسْر التَّنوخي المعرِّي؛ كاتبُ الإنشاء لنور الدين محمود بن زَنْكي.

ولد سنة ستٍّ وتسعين وأربع مئة، ونشأ بحماة عند جدِّه القاضي أبي المجد محمد ابن عبد الله، وقرأ عليه الأدب، وسَمِعَ الحديث من جدِّه لأُمه أبي عبد الله الحسين بن العجمي بحلب، وكان فاضلاً.

---

(١) سيأتي نحو هذا الخبر في حوادث سنة (٥٨٢هـ)، وهو الصواب.

(٢) له ترجمة في «خريدة القصر» قسم شعراء الشام: ٢/ ٣٥ـ٣٧، و«معجم الأدباء»: ٣/ ١١٦، و«سير أعلام النبلاء»: ٢١/ ١٤٥، و«الوافي بالوفيات»: ١٦/ ٨٥ـ٨٧، و«فوات الوفيات»: ٢/ ٩٦، و«الإنصاف والتحري» لابن العديم: ٥٠٤ـ٥٠٥.

قال العماد الكاتب: تولَّى ديوان الإنشاء بالشَّام سنين كثيرة لنور الدين، ثم استعفى، وقَعَدَ في بيته، ووليتُ الإنشاءَ بعده، وتوفِّي بدمشق في هذه السنة، ومن شعره: [من الكامل]

أحبابَنا ذَهَبَ الزَّمانُ ومالنا ... من وَصْلِكُمْ حَظٌّ به نتمتَّعُ
وتبايَنَ الغَرَضانِ مَنْ أهواه يَهْـ ... ـجُرني ومَنْ أشْناه لي يتتبَّعُ
طاووس حُسْنٍ صدَّ عني مُعْرِضاً ... وغدا يُواصِلُني الغرابُ الأبقعُ

عبد الله بن سماقة[1]

وزير صاحب آمِد، كان قد استولى على الأمر، وحَسَمَ موادَّ الفساد، فاتَّفق جماعةٌ من مماليك صاحب آمد على قَتْله، فجاؤوا إليه وهو جالسٌ في الدِّيوان، وقالوا: المَلِك يَسْتدعيك. فقام، ودخل دار المُلْك، فقتلوه في الدِّهْليز، وكان الصَّلاحُ أحدُ الأمراء الأكابر محبوساً، فأخرجوه واثقين به، فَقَتَلَ الجميع.

عبد السَّلام بن يوسف بن محمد[2]

أبو الفَتْح الجُماهري، كان فاضلاً، ومن شعره: [من الطويل]

على ساكني بطن العقيق سلامُ ... وإنْ أسهروني بالفِراق ونامُوا
حَظَرْتم عليَّ النَّومَ وهو محلَّلٌ ... وحلَّلْتُمُ التَّعذيبَ وهو حَرَامُ
إذا بنتمُ عن حاجرٍ وحَجَرْتُمُ ... على الدَّمْعِ أَنْ يدنو إليه مُلامُ
فلا ميَّلَتْ ريحُ الصَّبا فَرْعَ بانةٍ ... ولا سَجَعَتْ فوقَ الغُصون حَمَامُ
ولا قَهْقَهَتْ فيه الرُّعودُ ولا بكى ... على حافَتَيْه بالعَشِيِّ غَمَامُ
فمالي وما للدَّمْعِ قد بان أَهْلُهُ ... وقد قُوِّضَتْ من ساكنيه خيامُ
ألا ليتَ شِعْري هل إلى الرَّمْلِ عودةٌ ... وهل لي بتلك البانَتَيْنِ لِمامُ

---

(١) له ذكر في «الروضتين»: ٣/ ٢٤٦ـ٢٤٧ .

(٢) له ترجمة في «خريدة القصر» قسم شعراء العراق: مج ١/ج٣/ ٣٠٨ـ٣٢٢ ، و«الروضتين»: ٢/ ٤٢٠ـ٤٢١ ، و«المختصر المحتاج إليه»: ٣/ ٣٦ـ٣٧ ، و«الوافي بالوفيات»: ١٨/ ٤٣٨ـ٤٣٩ ، و«فوات الوفيات»: ٢/ ٣٢٦ـ٣٢٧ ، و«النجوم الزاهرة»: ٦/ ٩٩ .

ألا يـا حـمـامـاتِ الأراك إلـيـكُـمُ فـمـالـيَ فـي تـغـريـدكُـنَّ مَـرَامُ
فـوَجْـدي وشَـوْقـي مُـسْـعِـدٌ ومـؤانِـسٌ ونَـوْحـي ودَمْـعـي مُـطْـرِبٌ ومُـدَامُ

وكانت وفاتُهُ بدمشق.

عصمة الدين خاتون بنت معين الدين أُنَر[١]

زوجة السُّلْطان صلاح الدين، كانت قَبْلَه زوجة نور الدين محمود، وكانت من أعفِّ النِّساء وأكرمهن وأحزمهنَّ، ولها صدقاتٌ كثيرة وبِرٌّ عظيم، بَنَتْ بدمشق مدرسةً لأصحاب أبي حنيفة في حَجَر الذَّهب [قريبة من حمام أزكش، وتعرف بمدرسة خاتون][٢]، وبنت للصُّوفية رِباطاً على الشَّرف القِبْلي خارج باب النَّصْر على باناس، وبنت تُرْبة بقاسيون على نهر يزيد، ودُفنت بها، ووقفت على هذه الأماكن أوقافاً كثيرة، وكانت وفاتُها في رجب[٣]، وبلغ السُّلْطانَ وفاتُها وهو مريضٌ بحرَّان، فتزايد مرضه وحَزِنَ عليها وتأسَّفَ، وكان يصدر عن رأيها.

ومات بعدها[٤] أخوها سعد الدين مسعود بن أُنَر[٥] في هذه السنة، وكان من أكابر الأمراء، زوَّجه السُّلْطان أُخته ربيعة خاتون [لما تزوج أخته الخاتون][٢]، فلما توفي زوَّجها مظفر الدين بن زين الدين.

محمد بن أسد الدين شيركوه[٦]

ناصر الدِّين، ابن عم صلاح الدين، كان السُّلْطان يخافه لأنه كان يدَّعي أَنَّه أحقُّ بالملك منه، وكان يبلغ السُّلْطان عنه هذا، وكان قد فارق السلطان من حَرَّان، وجاء إلى حِمْص، وكان زوج ستّ الشَّام أُخت السُّلْطان، وتوفي بحمص يوم عرفة، وتناثر لحمه، وقيل: إنَّه سُمَّ، وقيل: مات فجأة، فنقلته زوجته ستّ الشَّام إلى تُرْبتها [بالعوينة

(١) لها ترجمة في «كتاب «الروضتين»: ٣/ ٢٤٣ـ٢٤٤ ، و«النجوم الزاهرة»: ٦/ ٩٩ .
(٢) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).
(٣) في «كتاب «الروضتين»: ٣/ ٢٤٣ في ذي القعدة، نقلاً عن العماد الكاتب.
(٤) وفاته في «الروضتين»: في جمادى الآخرة.
(٥) له ترجمة في «كتاب «الروضتين»: ٣/ ٢٤٥ـ٢٤٦ ، و«النجوم الزاهرة»: ٦/ ٩٩ .
(٦) له ترجمة في «سير أعلام النبلاء»: ٢١/ ١٤٣ـ١٤٤ ، وفيه مصادر ترجمته.

شمالي دمشق][1]، فدفنته عند أخيها شمس الدولة، ولما بلغ السُّلْطانَ وفاتُه أبقى على ولده أسد الدين شيركوه حمص وتدمر والرَّحبة وسَلَمية إقطاع أبيه، وخَلَعَ عليه، وكتب له منشوراً.

السنة الثَّانية والثمانون وخمس مئة

[[2]ذكر محمد ابن القادسي[3] في الذيل فقال:] في يوم عاشوراء فُرش الرَّماد في الأسواق، وعُلِّقت المسوح، وناح أهل الكرخ والمختارة، [وبغداد][1]، وخرج النِّساء حاسرات يلطمن وينحن من باب البَدْرية إلى باب حجرة الخليفة، والخِلَعُ تفاضُ عليهنَّ وعلى المُنْشدين من الرِّجال، وتعدَّى الأمر إلى سَبِّ الصَّحابة: أبي بكر وعمر وعثمان [وطلحة][1] والزُّبير وعائشة رضي الله عنهم، وكان أهل الكَرْخ يصيحون: ما بقي كتمان، وأقاموا امرأة، يقال [لها][1] ابنة قرابا من أهل الكَرْخ، كان ظهير الدين العطار قد كَبَسَ دارَ أبيها، فأخرجَ منها كُتُباً في سبِّ الصَّحابة، فقطع يديه ورِجْليه، ورجمه العوام حتى قتلوه، فقامت هذه المرأة على دِكَّةٍ تحت منظرة الخليفة في الرَّيحانيين، وحولها ألوفٌ من الرِّجال والنِّساء، وهي تنشد أشعار العَوْني وغيرها، وتسبُّ عائشة رِضْوان الله عليها، وتقول: العنوا راكبة الجَمَل، وتذكر حديث الإفك والنبي ﷺ بأقبح الشَّناعات، [قال:][1] وكلُّ ذلك منسوبٌ إلى أُستاذ الدَّار ابن الصَّاحب.

وفي هذا الشَّهر عَبَرَ صاحب الباب كمال الدين ابن هُبيرة إلى الجانب الغَرْبي في موكبه إلى بُسْتان، وبين يديه أربابُ الدَّولة والسيوف المسلَّلة، فعاد في آخر النهار من يومه ماشياً، مكشوف الرأس، وبين يديه نفَّاط، وقد نُتِفَتْ لحيته، وعِمامته في حَلْقه،

---

(١) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٢) في (ح): «قال ابن القادسي»، والمثبت ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٣) القادسي: هو محمد بن أحمد بن محمد بن علي، القادسي: نسبة إلى القادسية، وهي قرية بين سامراء وبغداد، لاقادسية الكوفة التي كانت فيها الوقعة المشهورة، كان له اعتناء بالتواريخ والحوادث، وصنف كتابين «ذيل المنتظم» ـ وهو الذي ينقل عنه هنا سبط ابن الجوزي ـ وقد وصل فيه إلى سنة (٦١٦هـ)، وكتاب «أخبار الوزراء»، وكلا الكتابين لم يصلانا بعد، توفي سنة (٦٣٢هـ) ببغداد.

له ترجمة في «التكملة»: للمنذري ٣/ ١٣١ ، «وفيات الأعيان»: ١/ ٣٢٩ ، و«الوافي بالوفيات»: ٢/ ١١٧ ، و«تاريخ الحكماء»: للقفطي، ط ليبسك: ص ١١١ .